موساليتكو

ولغز الأعياد المختفية

لقد أنهى صديقانا موسالينكو والقط هرهر رحلتهما السحرية الأخيرة في الحديقة بجانب بقعة ماء ذات سحر أكبر. نذكركم بأننا لا نتكلم هنا عن بقعة عادية، بل عن بوابة مسحورة كانت في كتابنا السابق قد أرسلت أحد أصدقائنا الى بلدان متعددة مختلفة. في مصر تعرف البطلان على الجمل الذي يقود القافلة، أما في مقدونيا فقد تعرفا على الإوزة أنا-سأكون-أنا. التقيا أيضا بأصغر طائر طنان في العالم مولده كوبا وكذلك بمعزة برية من بلغاريا على رأسها خوذة ومصباح أمامي.

كان موسالينكو يتفرّج بتأنّ على صور هذه الرحلة التي وجدها في حقيبته. كل منها كانت مختلفة اللون ترسل ذكرى من المغامرات المختلفة وتستحضر في ذهنه الأصدقاء الجدد. وعندما أغمض عينيه، أحسّ موسالينكو بعطر كل واحد من البلدان التي كان قد زارها عن غير قصد:

- بلغاريا بعطر الجبل وشاي الأعشاب؛

- مصر بعطر الرمال الحارّة؛

- مقدونيا بعطر الغابات الخضراء بُعَيد مطر صيفي؛

- وكوبا بعطر المحيط والشواطئ التي لا نهاية لها.

كان موساليتكو مستغرقًا في أحلام اليقظة وفجأةً! سقط شيء ما على رأسه. كان ضمنياً يتمنى أن يكون ذلك نقطة من غيمة ماطرة خفيّة ولكن لا! كانت دمعة كبيرة من طير أبيض كبير. وبينما ضحك هرهر على صديقه ضحكة لعوبة خفية، فاجأ الطير فروه الناعم النظيف البرتقالي اللون أيضًا. هرهر لم يكن راضياً بتاتاً. أما موساليتكو فضحك وقال:

- يا هرهر، أنت تعرف أن دمعة كائن طائر محدد هو نبأ بالحظ السعيد!

ثم ذهب لينظف نفسه قبل أن يعودا الى البيت.

وكان الطير الأبيض الكبير الذي ترك دمعتيه على صديقَينا قد حطّ عند حنفية الماء ووقف ينظر بما كان يشبه الحزن.

- يا شباب! يا شباب! اركبوا على ظهري وهيا بنا الى نُزُل موسالا. هناك ستفهمون كل شيء...

نظر موساليتكو الى الطير بإعجاب:

- ما أنا بفاهم كيف سنقوم أنا وهرهر اللذان نوزن أكثر من خمس أضعاف وزنك بالركوب على ظهرك والطيران الى أي مكان كان! صحيح أنني أركض بانتظام في الحديقة منذ عدة أسابيع وأشرب ٣ لترات من الماء كل يوم وأتبع حمية البوظة كل يوم سبت ولكن رغم ذلك...

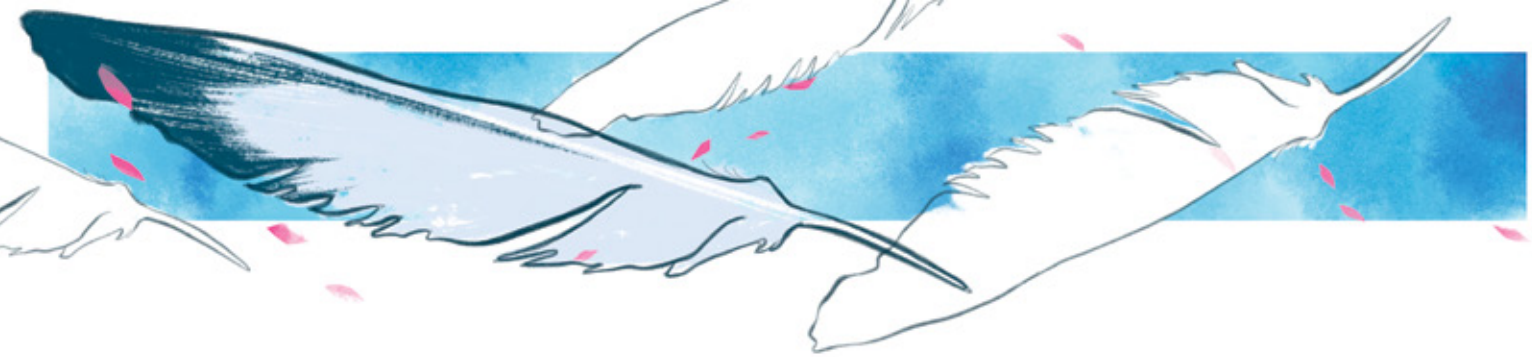

وبينما كان ينظر الى مكان عضلاته متمنياً أن يجد منها ولو القليل، شعر موسالينكو فجأة بأنه أصبح خفيفاً كالريشة. وبدت حنفية الماء كأنها حنفية للعمالقة وبدا الطير كأنه طائرة.

- اركبوا! – صرخ الطير فيما كان موسالينكو وهرهر ينظران بذهول. – الحمدلله أنني استطعت بدموعي السحرية أن أجعلكما صغاراً بحجم القمل وإلا لكانت مهمتنا فشلًا ذريعاً. هاكُم جناحي الأيسر درجًا تصعدون عبره على ظهري. هناك اجتماع هام في نُزُل في الجبل فسوف نطير اليه.

صعد موسالينكو وهرهر على ظهر الطير الذي طار بسرعة أكبر من سرعة الريح – ذلك الريح القوي قرب شاطئ البحر الذي يوقظ أمواجاً عالية كالبيوت والذي يُشعّث شعرك بشكل مزعج جدّاً أو يحوّل أحياناً قبعتك أو مظلة الشاطئ صحوناً طائرة.

طار الطير بموسالينكو وهرهر مدة ٣ أيام و٧ ليالي. مروا عبر عاصفة استوائية وعبر غيوم من غزل البنات الزهري، عبر إعصار حقيقي وشلال أكثر حقيقة منه. غطسوا في نهر متجلد وطاروا على شُعرة من ينبوع معدني ساخن حرارته حتى ١٠٣ درجات. قطعوا مع الطير تسع بلدان حتى حط في العاشر على سطح نُزُل موسالا. كان الوقت يقارب منتصف الليل والنجوم تغلب زراق السماء الغامق بينما كان القمر ينير ويبدو أنه لم يكن في حفرة زحل (مهما كان يعني ذلك). وكان الهواء مليئاً برائحة الخبز الطازج وشوربة الفاصوليا اللذيذة ومربى توت العُليق وشاي الأعشاب الجبلية.

نزل موسالينكو وهرهر مرتاحَين على السطح بينما جلس الطير أمامهما كما يجلس المدرّس أمام تلاميذه وبدأ يحدّثهم – أو بالأحرى يوبّخهم – حيث لم يكن باستطاعة موسالينكو وهرهر التقدير.

- أرجوكما على الهدوء والاستماع جيّداً – قال الطير الأبيض – أولاً، سأعرّفكما على نفسي: إسمي جوني، النورس المتكلم. أنا ذكي وصبور وأحب الغناء كما أنني قادر على الاستماع بدون مقاطعة المتكلم. ولعل خاصيتي الأكثر روعة هي أنني أفهم لغات جميع الكائنات من كل العوالم بما في ذلك الانسان والحيوان والطير والحشرة والسمكة والزهرة والشجرة والنبتة الحزازية وأحادي الخلية التي لا يمكن رؤيته بالعين المجردة والتنين والوحش الوهمي تحت السرير وغير ذلك من الكائنات. أكثر من كل شيء أحب أن أساعد عجوزاً كبيراً وطيباً جداً من القطب الشمالي يرتدي دائما زيّاً أحمر وقبعة حمراء. إنه يحصل كل عام على رسائل لا تُحصى من أولاد من كل أنحاء العالم يكتبون بشكل شبه صحيح بشتى اللغات. هل رأيتم مثلاً كيف تُكتب كلمة «مرحباً» باللغة اليابانية؟ هكذا – (こんにちは) وتُلفظ «كونيتشيوا".

وتابع النورس جوني قائلاً: آه! ولعلني كنت سأنسى! أفهم أيضا لغة كل الأبطال من جميع القصص. لحسن الحظ لست الوحيد الذي يملك هذه النعمة. إننا قبيلة كاملة من النورس السحري، نحاول أن نساعد كوكب الأرض كي يكون سعيداً وبصحة جيدة وكي يستمر بالدوران حول الشمس. للأسف لدينا الكثير من العمل خلال السنوات الأخيرة وذلك بشكل خاص في ما يُعني نظافة الكوكب. فالإنسان يستخدم كميات هائلة من الزجاجيات البلاستيكية

بالإضافة الى الألعاب والأكياس البلاستيكية وغيرها. هل تعلمون حتى أنه يأكل البلاستيك المجهري ولكنه لا يدري بذلك؟ يعتقد أن هذا الجندي البلاستيكي أو تلك اللعبة البلاستيكية ستختفي ولكنها تبقى بالأرض لمدة ٢٠٠ سنة على الأقل. وهي لا تتحول الى لعب جديدة ولا تصبح غير مرئية. إنها خلال هذا الوقت تتفكك إلى جزيئات أصغر فأصغر تجد لنفسها في ما بعد من خلال المياه والتربة طريقاً الى طعام الانسان. الموضوع طويل ولكن ما يملأني بالحزن الشديد هو الطبيعة وكذلك أنه لا يبقى لدي الوقت لكي أساعد ذلك العجوز من القطب الشمالي. إنه مسؤول عن هدايا الأولاد للميلاد ورأس السنة وهو كبير جدّاً في السن ومتعَب جدّاً فيرتكب الأخطاء أكثر فأكثر. هناك طفل من البرازيل طلب منه في السنة الماضية جرو كلبٍ هديّةً لرأس السنة فحصل على لعبة أحجية مرسوم عليها جنّية... قصة مزعجة.

ولا يكفي كل ما أخبرتكم عنه بل أننا خلال الأشهر الأخيرة نواجه مشكلة هائلة! فإن الناس من كل أنحاء العالم لا يقدرون على الاحتفال بأي شيء ولا حتى بِعيدٍ واحد. ليس بإمكانهم تحضير عشاءٍ واحد للعيد. هنا، في النُزل يجتمع ممثلو منظمة الأعياد في العالم (أو «ماع» باختصار) لإيجاد الحل...

- جونيييييي! - قاطعه موسالينكو - أعتذر على مقاطعتك... آتشو!
سأعطس... أو أنني لقد عطست ولكن شيء منير أصغر مني أنا قد حطّ على أنفي.

- آه! أهلاً بكِ، سيدتي اليراعة – قال جوني وهو ينظر إلى أنف موسالينكو – الباقون من «ماع» في انتظاركم في النُزل – أضاف جوني وتابع قائلاً:

- إن بعض الضيوف يقولون أنهم يشمون رائحة مادة الكبريت قبل فشل العيد... تلك الرائحة التي تعرفونها من البيض الفاسد. وهي أيضاً رائحة الينابيع الحقيقية للمياه المعدنية. وبعد ذلك تختفي لدى الناس كل احتياجات العيد من طعام وصوف وتلوين للبيض وقناعات وأزياء، أو كل شيء مميز يحتاجونه للاحتفال بالأعياد المختلفة.

- عندما تذكر رائحة الكبريت، أظن أنني أشك بمن قد يكون معنياً. إنهما شِرّورة وسُوآن – قال موسالينكو – ولكن اكتشافهم أمر سهل. لماذا يفعلون ذلك؟ ماذا يريدون أن يحققوا بذلك؟ وكيف نجدهم لكي يعود كل شيء إلى ما كان عليه؟ هذا ما نحتاج أن نفهمه. هيّا بنا جميعاً إلى النزل.

تسلل الأصدقاء عبر المدخنة ووجدوا أنفسهم في غرفة طعام كبيرة حيث اندهش موسالينكو برؤية أصدقائه من الرحلة السحرية وغيرهم الكثير من الحيوانات الممتعة من شتى أنحاء العالم. كان هناك كثير من الضوضاء لأن الجميع كان يشكو في آن معاً أحدهم للآخر ثم لغيره وهكذا للآخرين.

- حضرة أعضاء منظمة الأعياد، أرجو الجميع على الصمت – قال جوني النورس الصبور شبه زاعق. – هلموا نجلس الى الطاولة لنناقش الوضع العصيب الذي نتواجد فيه. موسالينكو وهرهر هنا وسوف يساعداننا.

حل هدوء كامل لا يُسمعِ فيه إلا صوت العاصفة الرعدية المقتربة والتي لم تكن تخيف أحداً. هل تعلمون لماذا؟ لأنهم كانوا مع بعض!

- سنبدأ بالآتي من أبعد مكان، باليراعة من اليابان – قدم جوني الضيفة التي جاءت طائرة من بلاد الشمس المشرقة.

- تعرفون جميعاً – بدأت اليراعة تتكلم – أننا في اليابان نحتفل بِعيد ساكورا (أو هانامي) وهو الاحتفال بزهر الكرز. في أواخر شهر آذار وأوائل نيسان عندما يُزهر معظم الكرز الياباني (المعروف لدينا باسم ساكورا وهو رمز بلدنا)، نحب أن نمرح تحت الأشجار المغطاة بزهر الكرز بالنزهات التي نسميها الهانامي. إلا هذه السنة! فقد قام أحدهم بسرقة كل الزهور من على شجر الكرز في شامل اليابان. وقد مرض الناس بسبب الحزن الشديد بينما توقف اليراع عن التألق ليلاً...

- أتفهم حزنك، أيتها اليراعة. إنها الحالة نفسها في مقدونيا – تابعت بعدها الإوزة أنا-سأكون-أنا – نقوم بالتقليد لعيد الفصح بتلوين البيض المسلوق. إنه العيد الذي يحتفل به المسيحيون والكاثوليك وهو يمثل قيامة السيد المسيح يسوع من بين الأموات. وتُلوّن البيضة الأولى دائماً باللون الأحمر بينما تُزخرف البيضات الأخرى بمختلف الألوان والرسوم والتصاميم. في كل مكان تجد أرانب الفصح من الشوكولا وغيرها الكثير من الأطايب. ولعل ما هو الأكثر متعة في الاحتفال المعاركة بالبيض الملوّن ونقوم بذلك للصحة الجيدة. يُعتبر أن ذلك الذي يحصل على البيضة الأقوى التي لا تنكسر سوف يتمتع بالهناء والحظ السعيد والصحة الممتازة. وآه من السوء الذي حل بنا... فقد

اختفى الملايين من البيض المسلوق ومعه اختفت الملايين من بَكتّات التلوين الأحمر. تبخّرت!!! نيينتة! نادا! زيرو! فكيف نحتفل الآن؟

- كانت أجواء الاجتماع في النزل تزداد عبئاً وضجيجاً. فكان الجميع يريد مشاطرة حزنه. ليس هناك في أي مكان في العالم أي شخص يحتفل. وباختفاء الأعياد، اختفت أيضاً فرصة الناس أن يجتمعوا ويستمتعوا بوقتهم مع عائلاتهم وأصدقائهم وأقربائهم.

- ســـــكـــــووووووووت! - صرخ جوني بقوة ليعيد الضبط والنظام الى الاجتماع. - يجب أن نستمع الى بعضنا الواحد تلو الآخر. سيدي النسر من نيجيريا، الآن دورك.

وبدأ النسر يخبرهم قصته هارعاً:

- في بلدي نيجيريا تحتفل الأديان والقبائل المختلفة بأعياد متعددة. ولكننا الآن لا نستطيع حتى استقبال السنة الجديدة يوم الحادي والثلاثين من كانون الأول. لقد اختفت جميع الألعاب النارية ومعها كل ثياب العيد البرّاقة من خزائن الناس وحتى من الأسواق! وكأنه أحد ما قد مرّ من هناك حاملاً آلة للنقب عن كل ما يلمع! وبعد أن تمكنت هذه الآلة التي لست أدري إذا كانت موجودة بالحقيقة من إيجاد حتى أصغر الحلى اللامعة، كلها اختفت بظرف ثانية! - ختم النسر كلامه باكتئاب. استند على كتف الراوي التالي كأنه يمرر الدور اليه.

- أنا سأخبركم عن التشيك - بدأت روايتها ساحرة طيبة - الجميع في بلاد التشيك يؤمن بأن الليلة بين الثلاثين من نيسان والأول من أيار ليلة سحرية

يجتمع خلالها الكبار والصغار ويجهزون الميادين في المدن والقرى بأكوام كبيرة من الخشب. وعلى رأس كل كومة يضعون ساحرة شريرة مصنوعة من الورق أو القش (ليست حقيقية بالطبع!). يعتقدون أننا نحن الساحرات نُبقي الشتاء والبرد حولهم وعندما يحرقون ساحرة اصطناعية في هذه الليلة، فكأن البرد سيخف والطقس سيصبح أدفأ. وهكذا كان يحصل دائماً... إلا هذا العام! فقد قام أحد ما بسرقة كل الخشب المخصص لمشاعل النار فليس بإمكاننا إشعال النيران وبالتالي لا يمكن للطقس الدافئ أن يجيء. هناك برد شديد في كل مكان. أما مخاط الأطفال فيتجلد قبل أن يتمكن الأطفال من لحسه. وفي الحقيقة، أنا أيضاً سئمت من افتعال البرد.

- أما نحن فلدينا مشكلة مع الصيف! - تابع أُيّل يلفه شال من الأضواء القطبية. - في وطني السويد نستقبل الصيف بواحد من أحبّ الأعياد إلينا وهو عيد ميدسومر. نحتفل به أول يوم جمعة بعد الانقلاب الصيفي. تبدأ الاحتفالات عند الظهر ولا تنتهي قبل صباح اليوم التالي. تجتمع العائلات والأصدقاء ويرقصون ويغنون ويلعبون. هناك زينة في كل مكان منها أكاليل الزهور البرية والشرائط الزهرية والخَضار من الغابات. وماذا تعتقدون حصل الآن؟ لقد قام أحدهم بالقضاء على كل الأزهار. فإنني لا أستطيع أن أصنع لنفسي حتى دبوس بروش ظفري الحجم ببنفسجة أرجوانية صغيرة جداً! - وختم الأُيّل حكايته.

كان اليأس في غرفة الطعام تلك يزداد.

- ويا ليتكم تعلمون ماذا يحصل في مصر... أمور لا تُقال! - بدأ الجمل - لقد اختفى كل الطعام لعيد الفطر وهو أحد أهم الأعياد لدى المسلمين في العالم. ربما ستقولون أنه يمكننا العيش بدون طعام ولكن عيد الفطر يمثل نهاية شهر رمضان وهو شهر كامل من الصيام الصارم. وعدد أيام الصيام بالضبط يعتمد على القمر بحيث أن أعياد المسلمين تتبع التقويم القمري. أذكركم أن الصيام يعني أنه ليس بإمكانك أن تتناول المأكولات المختلفة في أي وقت كان. معظم الناس خلال هذا الشهر (ما عدا الأطفال والنساء الحامل والمَرضى) لا يتناولون الطعام والماء إلا في فترة ما بين غياب الشمس وشروقها. ويبدأ الصيام كل يوم مع أول آذان للصلاة في الصباح. والصيام هو وسيلة المسلمين تطهير أجسادهم وأرواحهم. عيد الفطر هو العيد الذي نحتفل به ختاماً للصيام فيتم تحضير الولائم بمأكولات من اللحوم والبقلاوة والحلويات بالعسل والدبس والمربى بالإضافة الى الحلاوة والأرز بالحليب وغيرها. يهنئ الصغار أهلهم وأقرباءهم ويطلبون منهم المغفرة. بدون المأكولات الشهية لا يمكننا أن نحتفل. لا يمكننا أن نتشارك هذه البهجة مع عائلاتنا. - حزن الجمل حزناً شديداً فقامت المعزة بمداعبتها بحافرها وبدأت هي نفسها تروي:

- أولاً، أعتذر منكم على طريقة لفظي. فلقد أتممت الست سنوات من عمري وبدأت أتخلص من أسنان الحليب لتأتي مكانها الأسنان الدائمة. الآن أتكلم بلثغة مثلما تفعل جدتي وهي معزة حكيمة جداً قد قرأت ما يملأ شاحنة كاملة من الكتب ولديها حفيدة رائعة وهي أنا! ولكن دعوني أعود إلى

المشكلة في وطني. ماذا حصل؟ في ضباب من رائحة البيض الفاسد اختفى كل الصوف، كل الخيطان والشرائط من بيوت الناس. لعلكم تسألون أنفسكم «وماذا في ذلك؟» فسأشرح لكم. نحن في بلغاريا نصنع الآذاريات (أو المارتينيتسا) وهي عبارة عن سوار من الخيط الأبيض والأحمر نتبادله في الأول من شهر آذار. يُدعي العيد بابا مارتا وهو يمثل بداية مجيء الدفء واقتراب فصل الربيع. قبل الأول من شهر آذار يقوم البلغار بصنع الآذاريات ويهدونها أحدهم للآخر يوم العيد متمنين لهم العافية والخصوبة تكريماً لفصل الربيع القادم. ورغم أن الربيع ليس فصلاً موجوداً في كل البلدان فأنا متأكدة أنكم تعلمون ما هو. إنه الفصل حينما تستيقظ الطبيعة من سباتها خلال الشتاء القارس. تُزهر الأشجار وتتفتح الأزهار ويبدأ الدفء يتسلل. تعود طيور السنونو واللقلق من الجنوب أو من أفريقيا بالأخص حيث تمضي الأشهر الباردة حتى يعود الدفء الى بلادنا.

- لدي سؤاااال! – قاطع صديقنا موسالينكو كلام المعزة – لنعود قليلاً الى رائحة البيض الفاسد التي ذكرتِها. أخبريني عنها أكثر.

ولكن قبل أن تتمكن المعزة من فتح فمها، تدخل الممثل التالي من منظمة الأعياد في العالم:

- هذه الرائحة النتنة هي نفسها التي فحّت في ليلة ما قبل الكرنفال بكوبا!
– زقزق (أو بالأحرى طنّ كالبرغشة) أصغر عصفور طنان في العالم. – في كوبا لدينا عدد من الكرنفالات خلال الصيف، منها في العاصمة هافانا ومنها في سانتياغو دي كوبا وهي العاصمة القديمة لبلدنا الرائع. الكرنفال لدينا عبارة

عن مهرجان للألواااان وهو بمثابة مسابقة بين مدارس الرقص المتعددة في كل أنحاء البلد وبينها السالسا والرومبا والتشا-تشا... وتمتلئ الشوارع خلال فترة الكرنفال بالناس يلبسون الأقنعة الملونة والأزياء المزخرفة والابتسامات العريضة. تستمر الاحتفالات عدة أيام. الجميع يكون في قمة السعادة. ولكن ليس خلال هذا الصيف. لا أعرف كيف حصل ذلك ولكن كل الأزياء والأقنعة

وزينة العيد اختفت وكأن بعصا سحرية لئيمة غير راضية عن حياتها وفوق كل شيء ذات رائحة البيض الفاسد.

عادت الضوضاء عالية بين جميع ضيوف الاجتماع الذين كانوا يقاطعون أحدهم الآخر. كان هناك عدد كبير جدّاً من الكائنات من كل أنحاء العالم التي لم تعد تستطيع أن تحتفل بأي عيد.

دق جرس النزل بقوة فاستغل النورس جوني ذلك واستعمل صوته الجبلي لإنقاذ البشر حتى يعيد الهدوء الى الاجتماع.

- منذ البداية كان عندي شك أن شِرّورة وسُوآن لهما إصبع في هذه الفوضى. – قال موسالينكو – لا بل عشرون إصبع وأربعة أيدي! جوني، هل هناك طريقة أن نصل الى زعيم قبيلة النوارس؟ لقد قرأت في مكان ما...

- وجدّتي المعزة الحكيمة أيضاً! – قاطعته المعزة التي كانت ترتدي على رأسها خوذة ومصباح أمامي. فهي لم تكن فقط تحب الكلام الكثير ولكنها كانت تحب المقاطعة أيضاً. – جدتي قرأت لي عن الشامان والزعيم وغيرهم من أعضاء القبيلة المهمين. إنهم يشعلون النيران ويرقصون حولها ويغنون أغانٍ

غير مفهومة ويتمكنون بطريقة ما التنبؤ بالمستقبل ورؤية الماضي وفهم ما يكلمهم عنه القمر أو الشمس أو النجوم أو الينابيع الجبلية...

وتابع موسالينكو بلهفة:

- نعم، نعم، شيء من هذا القبيل. أنا متأكد أن زعيم قبيلة النورس بإمكانه أن يساعدنا. – ثم التفت الى النورس قائلاً:
- جوني، هل يمكنك أن تغطينا جميعاً بدموعك لنصبح صغاراً مجهريين فنركب ظهرك وتطير بنا الى قبيلتك؟

- لدي فكرة أفضل – أجاب جوني – اركبوا التلفريك جنب النزل وأنا سأنتظركم عند محطته الدنيا. هناك مطار سرّي في الغابة قد نستفيد منه.

ركب الجميع التلفريك بسرعة. لم يدرك أحد كم من الوقت استمرت الرحلة. وعندما نزلوا عند المحطة الدنيا (لأن تلك التي كانت جنب النزل كانت تُدعى «المحطة العليا»)، رأوا طـــــــــــــائرة بيضـــــــــــــاء كبـــــيـــــــــــــرة!

- اركبوا على متن «طيران جوني» – سمع الجميع صوتاً معروفاً. – أنا نورسكم الذي يمكنه التحول الى غواصة أو الى متوازي السطوح أو... الى طائرة! لهذه الطائرة مزيد من الريش ولكن المهم أنها تتسع لكم جميعا وتستطيع نقلكم بأمان الى أينما أردتم.

قفزت جميع الكائنات الصغيرة في جيب فيل ملوّن من الهند يرتدي وزرةً، وبينها موسالينكو وهرهر واليراعة من اليابان والصرصور السعيد من كل

مكان ودودة المطر من النرويج وذبابة شريرة من بلد مُلفّق وما لا يقل عن ٤٥ كائناً صغيراً معروفاً أم مجهولاً، فقد كانت هذه الطريقة الوحيدة للحشرات أن تمتطي الطائرة دون أن يدوسها أحد أو يجلس عليها أو يغرقها في دموعه. لماذا نذكر هذا؟ لأنه على متن الطائرة كانت هناك شجرة صفصاف باكية جميلة. كانت لا تتوقف عن البكاء على الجِنّ الذين كانوا يسكنون جذورها. تبين أن أحد ما قد سرق قبعاتهم الصغيرة فبات الجنّ عاجزين عن استخراج التوت البري من أكمامهم وعن غناء أغانيهم وعن أن يتحولوا الى غير مرئيين. وما هو الجنّيّ إذا لم يكن قادراً على تلك الثلاثة؟ عدا عن أنه رائحة البيض الفاسد كانت ما زالت فاحّة من منزلهم. ولكن يبدو أننا جميعا نعرف من الذي قام بهذه الشيطنة، أليس كذلك؟

- دعوني أخبركم نكتة لتغيير الجو. – قالت زوجة وحيد القرن التي كانت تشعر بالدوار من الطيران قليلاً. – أرجوكم على القليل من الهدوء.

... دخل أرنب لدى محل الحلويات وسأل:

- سيدتي البومة، هل لديكم ١٠٠ قالب حلوى بالجزر؟

- لا، يا عزيزي الأرنب.

وعاد في اليوم التالي يسأل:

- سيدتي البومة، هل لديكم ١٠٠ قالب حلوى بالجزر؟

- لا، يا عزيزي الأرنب.

في اليوم الثالث قرروا أن يحضروا له ١٠٠ قالب حلوى بالجزر، وعندما جاء الأرنب مجدداً بسؤاله المعتاد:

- سيدتي البومة، هل لديكم ١٠٠ قالب حلوى بالجزر؟

- نعم، يا عزيزي الأرنب، لدينا!

- يا ويلتاه – أجاب الأرنب – وماذا ستفعلون الآن بهذا الكم الهائل من قوالب الحلوى بالجزر؟ ...

ابتهج معظم الركاب وجلسوا بشكل مريح ووضعوا أحزمة الأمان. ارتفعت بهم الطائرة ارتفاعاً لم يكن أي واحد من الركاب قد وصل اليه قبل ذلك. وبدأت أمام عيونهم تتبدّل المشاهد والمناظر الطبيعية. طاروا فوق نهر الأمازون في أميركا الجنوبية وفوق برج إيفل في باريس وفوق شلالات نياغرا في أميركا الشمالية وفوق قمة كليمنجارو في أفريقيا. ورأوا بطرف العين جذع نبتة الفاصولياء من قصة «جاك ونبتة الفاصولياء». أما الحصان الأبنوس الطائر (الذي قد تعرفونه من قصص شهرزاد) لكان على وشك أن يرتطم بهم.

- إن المرور في السماء مزدحم – قال جوني من مقصورة قبطان الطائرة. – هناك بُسُط الريح وأبطال من القصص والطيور الراحلة الى الجنوب وغيرها الراحلة الى الشمال. والساحرات الشريرات ما تعودت على اصلاح مكانسها وكثيراً ما تتطفل على احدى الطائرات لتركبها مجاناً. ودعونا لا نحصي نجوم الشهاب التي تفعل ما تشاء ولا تبالي بتاتاً بأنظمة المرور في الفضاء الجوي.

وكان موسالينكو متوتراً في جيب وزرة الفيل الملوّن فقرر أن يخرج منه قليلاً ليحرّك أطرافه. كان ينتظر بتشوق أن تحط الطائرة فيلتقي بأحد من قبيلة النورس يوجّههم ويساعدهم على إيجاد الأشرار. قفز من الجيب برجليه الصغيرتين وبدأ بصحبة هرهر يخطو بمخالبه الصغيرة بين مقاعد الطائرة.
وصلا جنب نافذة صغيرة ونظرا من خلالها – لقد كانت الظلمة قد حلّت للتو وكانوا يمرّون فوق محيط لامتناه حيث رأيا في البعد البعيد آخر أشعة الشمس فاسترقا منها القليل من النور قبل أن تختفي تماماً. وكان موسالينكو يستمتع كثيراً بحلول الظلام.

وفجأة تحرك شاربا هرهر بشبه موجة مكسيكية.

- هرهر، هل كل شيء على ما يرام؟ - سأله موسالينكو.

شرع هرهر يشير الى النافذة فحدّق موسالينكو نحوها. في الظلام السائد فوق المحيط الذي لا حدّ له لاحظ عرضاً ضخماً للألعاب النارية – ألعاب نارية في وسط اللاشيء.

- وما في ذلك؟ ربما نمر فوق جزيرة ما – علّق موسالينكو بلا مبالاة.

ولكنه في اللحظة التي قال ذلك أحس بتلك الرائحة الكريهة، رائحة الكبريت التي نوّهت له ما عليه أن يفعله.

- بسرعة يا جوني! يجب أن نحطّ مباشرة! – التفت موسالينكو الى جوني آمراً.

- ولا أي فرصة لذلك يا ولد! الماء في كل مكان. ليس هناك مطار أو أي شيء يشبهه! أفكّر... أفكّر... أفكّر... أفكّر بسرعة... بسرعة بسرعة أفكّر... ها هو الحل! وجدته! هاكَ مظلة الهبوط من تحت مقعد الطيّار واقفز مع هرهر.

أمسك موسالينكو بالمظلة، أحكم وضعها على ظهره، أمسك بهرهر وقفز من الطائرة بإتقان. أزّت الريح بوجهه وهو يحلّق ويحلّق حتى بدأت تتبين أمامه سفينة هائلة على شكل حوت. فتح موسالينكو المظلة وحطّ بنجاح على متن السفينة خلف كوم من الصوف والخيطان والشرائط ذات اللون الأبيض والأحمر. نظر حوله وأصبحت عيناه واسعتين الفطائر المحلاة بالشوكولا. فقد رأى حوله من كل شيء: كوم عالٍ حتى قمة إفرست من البيض، وغيره من أزياء الكرنفال وثالث بزهور شجر الكرز الياباني...

لم يستطع موسالينكو وهرهر تصديق عينيهما. وقفا هناك متمسمرين. كانت هي فقط رائحة الكبريت التي أعادتهما الى الواقع. تفقدا ما حولهما واختبآ بسرعة عندما سمعا اقتراب خطوات. عندها أدركا أنهما ليسا بحجمهم الطبيعي بل هما شبه غير مرئيين. وقفا برواء جنب بيضة ملوّنة باللون الأحمر وانتظرا ليريا من كان يقترب.

- سوآن، لدينا المزيد من الألعاب النارية، أليس كذلك؟ - قال صوت شِرّورة المعروف. – أود أن أبقى هنا على متن السفينة عدة مليون سنة وأتفرّج كيف تتألّق السماء بالألوان المختلفة.

- موووووو – ردّ سوآن بينما كان يتنزّه بزيّ بقرة. أظن أنه لدينا لما لا يتجاوز الألف سنة. لكن ما يقلقني أكثر هو كمية الطعام – فالبقلاوة

ستكفي لمدة ٦٩٧ سنة وأنا أهوي أن آكل الحلويات بينما أستمع الى الموسيقى، وأن أستمع الى الموسيقى بينما آكل الحلويات.

- آه يا سوآن! لقد كانت فكرة ممتازة أن نسرق الأعياد من الناس. لم أحتفل بشيء في حياتي ولم أحصل أبداً على هدية واحدة! الابتسامة أمر غريب علي. أتعرف ما الذي جعل الكوب يفور عند رأس السنة في العام الماضي؟ عوضاً عن هدية رأس السنة التي طلبتها وكانت بومة في جحرها حصلت على علبة تحتوي على مادة لزجة خضراء فيها برّاق هدفها أن تُدعك، لألعب بها وأهدئ نفسي!! هل يمكنك أن تتخيل؟ حتى أنا المقزِّزة وجدت ذلك... مقززاً! من الآن فصاعداً سيكون كل يوم عيداً مختلفاً – أو على الأقل خلال السنوات الـ ٦٩٧ القادمة.

وبينما كانا يستمعان الى حديث الشريرين، أحس موسالينكو ببعض الحزن. كل هذه الفوضى الكبيرة كان سببها أنه ليس لدى الشرّيرَين أي أصدقاء أو أقرباء وأن هدية رأس السنة لأحدهما كانت خيبة أمل كبيرة. وإذ خطر على بال موسالينكو فكرة.

- هرهر، أسرع معي! – وتسللا الى احدى المقصورات. – إسمع جيداً يا هرهر. سنبتكر عيداً خاصاً بشِرّورة وسوآن. بهذه الطريقة سنجعلهما سعيدين فيعيدان الأعياد للناس. سنبني بينما ينامان سفينة أخرى مماثلة لهذه كلها من الحلويات خصيصاً لسوآن. سنزينها ونحضّر الهدايا لهما. نحن ماهران وليس من الصعب علينا أن نخيط بومة مختبئة في جحرها. وسنسجّل موسيقى جميلة يستمعون اليها لألف عام.

انتظر موسالينكو وهرهر أن ينام سوآن وشِرّورة وانكبوا على العمل. ولكن المشروع كان ضخماً والمهام كثيرة لا يُمكن إنجازها في ليلة واحدة وبخاصة أن يدي موسالينكو صغيرتان ومخالب هرهر أصغر منها.

- شباب! نحن هنا لنساعدكم. – سمع البطلان من مكان ما جوقة من الأصوات. – نحن كائنات عالم البحار وكل واحد منا يحمل القوة السحرية من البحار والمحيطات، فكل سمكة وكل قنفذ بحري وكل عشبة بحرية ومرجان وحبار وقرش وأي كان من سكان المياه هو جزء من هذه القوة.

في لحظة صعد على متن السفينة عدد لا يحصى من الأسماك وقناديل البحر والحوريات وغيرها وانبروا يساعدون هرهر وموسالينكو. كان القمر ساطعاً من السماء يساعدهم بنور أبيض هادئ. وقبل أن تشرق الشمس بقليل كان كل شيء جاهزاً حتى أن عائلة من الأخطبوط تمكنت من جلب شجرة ميلاد زينوها بأكاليل وألعاب براقة ووضعوها في وسط سفينة الحلويات الجديدة.

تمكن الجميع من الاختباء قبيل أن يستيقظ سوآن وشِرّورة. خرج الاثنان إلى متن السفينة وبدآ يتقيّآن الأفاعي والسحالي حيث أنه تبين أن هذا أمر دارج الآن.

- شِرّورة، هل ترين ما أراه أنا؟ – قال سوآن بحماس.

- «كلّ عيد المـــفـــــا جـــــآت وأنتـم بخير!» – قرأت شِرّورة بقليل من الصعوبة. – «إنه العيد الخاص بشِرّورة وسوآن. يُحتفل به بابتسامات وموسيقى جميلة. في هذا اليوم يجب أن تفاجئ شخص واحد من أقربائك على الأقل.»

- لا يمكنني أن أصدق! هذه سفينة من الحلويات مزينة بالبلاوين وعليها نقش عيدي! وهناك شجرة مزينة في وسطها تحتها هدايا! ما أحلاه من مفاجأة!

صعدت منهما رائحة كبريت أقوى من كثرة الإثارة. قفز الاثنان بسرعة البرق على سفينة العيد. فتحت شِرّورة الهدية تحت الشجرة واتسعت ابتسامتها. كانت هذه المرة الأولى التي يحصل معها أمر كهذا. أما سوآن فقد بدأ يقضم إحدى سواري السفينة الجديدة وقرر أن يفعل ذلك قليلاً قليلاً حتى تكفيه لمدة أطول. تحت الشجرة وجد الاثنان أيضاً رسالة تقول:

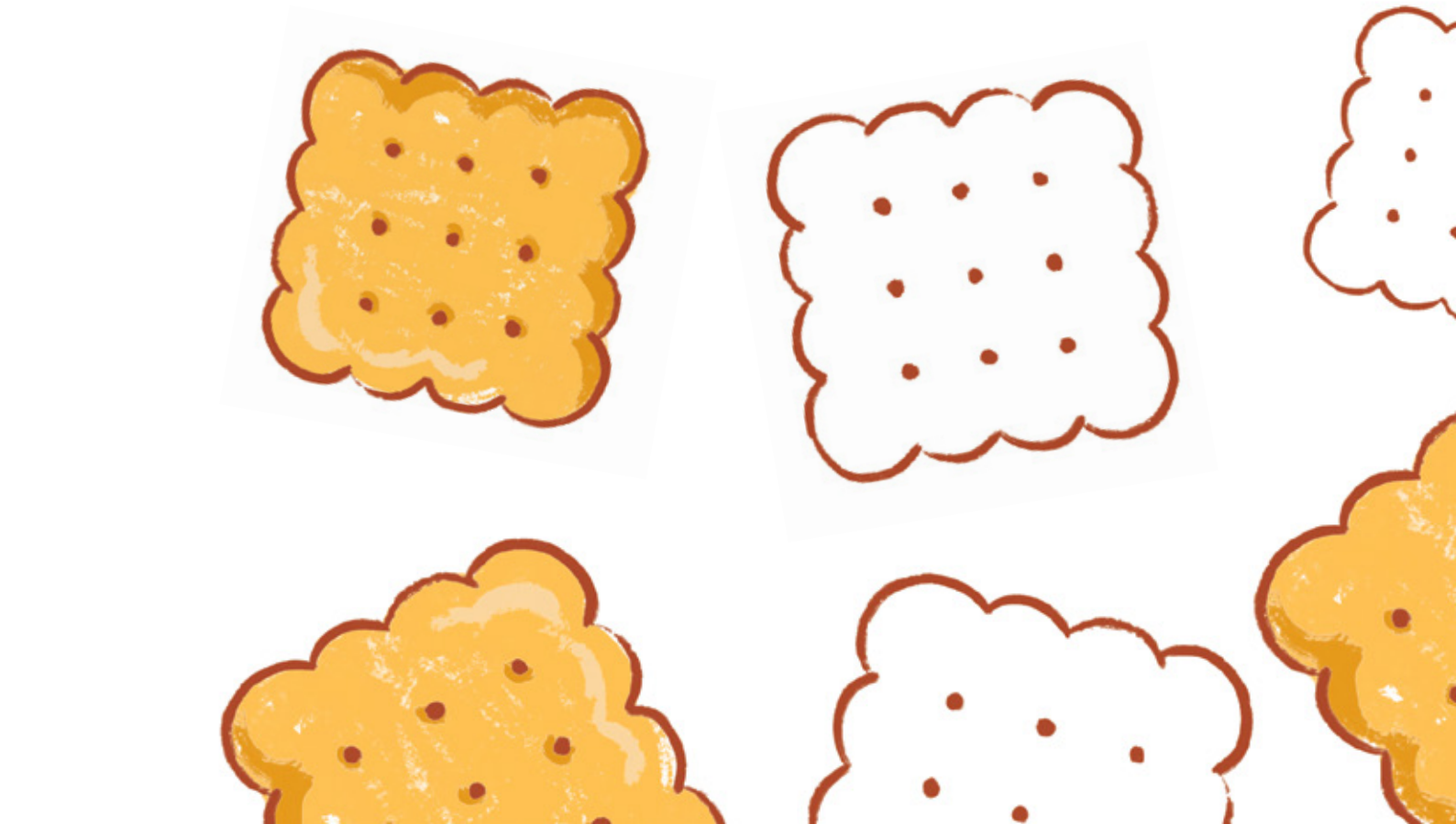

”مرحباً يا شِرّورة وسوآن! أنا روح العيد الذي ابتُكر خصيصاً لكما – عيد المفاجآت. يُحتفل به حينما تشاؤون ومهما كان عدد المرات الذي تشاؤون أن تحتفلوا به. شخصياً، أنصحكم أن يكون ذلك مرتين في الأسبوع. فاجئوا أنفسكم أولاً وبعدها كل كائنات الوجود – فاجئوهم بكلمة لطيفة أو بقلم مضيء أو بالحلوى أو بالمكسرات، بعدّاد كهرباء أو بنبتة في أصيص، بخرزة لسوار أو بكوب من الماء... يمكنكم أن تفاجئوا صباراً حزيناً بدموع شجرة الصفصاف الباكية أو نملاً بفتات خبز طازج. إن الأفكار حولكم في كل مكان فلا تنسوا: أن تفعلوا اللطف فكرة رائعة. ذلك لأن فعلكم سيعود عليكم باللطف يوماً ما بطريقة ما.

أتمنى لكم عيد مفاجآت ممتاز!

روح العيد“

ومباشرة بعد نهاية الرسالة كانت جميع أكوام الصوف والبيض والبقلاوة وأزياء الكرنفال والألعاب النارية والطعام والى ما هنالك قد اختفت وعادت الى حيث تنتمي.

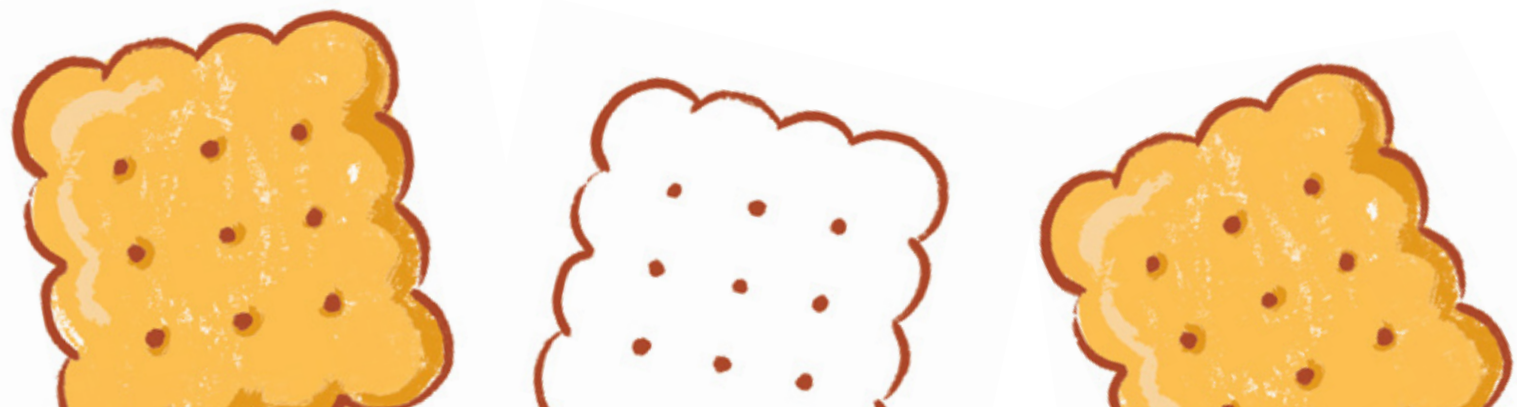

لم يكن سوآن وشِرّورة يعرفان بم يشعران. كان هذا بالتأكيد أمر جديد يرفرف في قلوبهم وصدورهم. لم يعرفوا ما هو ولم يدركوا إذا كان بودهم أن يمضي قريباً. ربما كانوا جوعانين؟ أم أنهم أفرطوا في الطعام؟

وبينما كان الشريران يتساءلان عن مشاعرهما، نظر موسالينكو وهرهر أحدهما الى الآخر وقفزا من على متن السفينة الى قمة موجة أودت بهما الى الديار مباشرة. وقف الصديقان اللذان كانا ما زالا بحجم القمل أمام بيتهم وتساءل موسالينكو كيف يفتح الباب الذي كان يبدو عملاقاً بالمفتاح الصغير في يده.

- لا يوجد في الكون مكان أفضل من البيت يا هرهر، أليس كذلك؟ - سأل موسالينكو صديقه رغم أنه كان يعرف الإجابة. - وخاصة إذا تمكنت أن تفتح الباب وتنام في سريرك طويـــــــــلاً طويلاً. بعد هذه المغامرة أشعر وكأنني أستطيع أن آكل كل لفائف القرفة في العالم وأنام ألف ليلة وليلة على الأقل.

في هذا الحين جاء من مكان قريب صوت جوني الذي حطّ قريباً منهما:

- يا شباب، أودّ بإسم منظمة الأعياد في العالم أن أشكركما. لولا هذه المساعدة لما كنا استطعنا أن نتمكن من الفوضى التي كانت سائدة. في عالم الإنسان بات تقريباً كل شيء على ما يرام. والآن تحضّرا لتستعيدا حجمكما الطبيعي بواسطة دموعي.

عاد موسالينكو وهرهر الى حجمهما السابق فاستطاع موسالينكو أن يفتح باب بيته بالمفتاح ونظر حوله - كل شيء كان في مكانه. ثم استعجل أن غسل أسنانه ولبس ثياب النوم وانبطح في سريره الناعم. أغمض عينيه وقبل أن يغرق في عالم الأحلام فكّر لنفسه: «أنا شاكر جدّاً على كل ما حصل معي أنا وهرهر. وأنا سعيد أنه لدي صديق وفيّ ومقرّب مني كهذا، أستطيع أن أجتاز بصحبته جميع المغامرات».

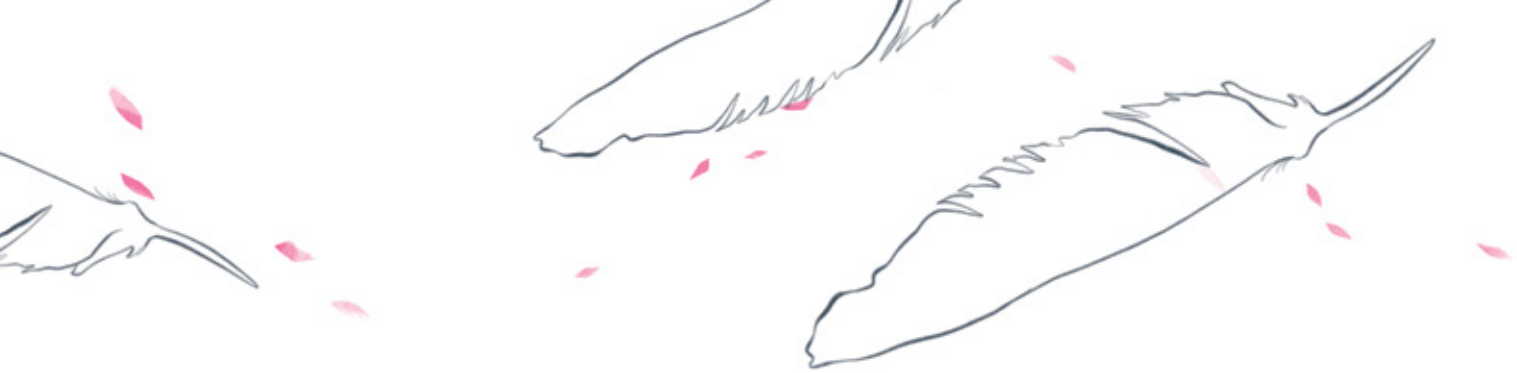

© موسالا سوفت (Musala Soft)

ستيفكا أوغنيانوفا – كاتب (2022)

يافورا أنتشيفا – تصميم الكتاب والرسوم التوضيحية (2022)

ألكسندرا بوتيفا ويوانا إيفانوفا – مولدات الأفكار (2022)